مندلي الحالية

Mendély de nos jours.

كان حضرة الكاتب السيد عبد الرزاق افندي الحسني كتب مقالا في لواء ديالى وذكر مندلي من اقضيتها (٧ : ٥٣٧) ولما كان لهذا القضاء شان في التاريخ طلبنا الى حضرة المعلم ميخائيل توماس وهو مدرس اللغة الانكليزية – في مدرسة الحكومة ان يصفها وصفا وافيا يصور لنا هذا القضاء تصويرا يمكننا من ان نقف على امرها كما هي عليه اليوم فكتب لنا ما ياتي .

١ — موقعها

مندلي احد الاقضية التابعة للواء ديالى في العراق العربي . وهي تبعد عن بغداد بالسيارة نحو ست ساعات وبالقاطرات زهاء ثلاثة ايام او ٢٤ ساعة او ٥٨ ميلا .

٢ — اسمها الاصلي .

يقال ان الفرس لما اكتسحوا بعض جهات العراق في ايام السلطان مراد ابتاعوا هذا المحل وسموه باسم فارسي « بندنيك » ثم استخلصها الترك من ايديهم فحرفوا اسمها فصار « بندنيج » (١) .

ثم ان اسم بندنيج تحرف مرة اخرى الى مندليج ولا يزال هذا الاسم الاخير مستعملا حتى الان عند الفرس . والرسائل الواردة من ايران الى مندلي تكتب عناوينها « مندليج » وفي الاخير خفف العراقيون المعاصرون هذا اللفظ بحذف الجيم فصارت « مندلي » (٢) .

---

١) حتى الان بيت في مندلي يلقب باسم بندنيجي نسبة للاسم المذكور واحد مشاهير هذا البيت هو السيد ظاهر البندنيجي والرجل فاضل ومن اكثر اهالي البلدة علما وادبا وبحسب ما تحققناه عنه ان له خزانة كتب فاخرة في داره تحوي مئات من المؤلفات الثمينة بين دينية وعلمية وتاريخية وادبية وهو مشترك في مجلات مختلفة تأتيه من مصر والعراق . ويعتبر في مندلي احد اشراف البلدة ولهمكانة سامية عند جميع الاهالي لظرفه وعلمه . (الكاتب)

٢) ذكر هذه الخرافة احد كتاب العراق في العدد ٢٥٢٧ الصادر في ٩ آب سنة ١٩٢٨ والوهم ظاهر لان البندنيجيين كانت معروفة بهذا الاسم قبل ان يخلق اي سلطان تركي وقبل

٣ — نفوس القضاء

اني تحققت من كاتب النفوس في مندلي حسب الاحصاء الذي اجراه سنة ١٩٢٨ ان عدد اهاليها مع اهالي ناحية قزانية وقرية دو شيخ بلغ (١٢،١٤١) ولكن لم تسجل اسماء نفوس قاطعات القضاء لانهم عشائر فلو اردنا اضافة عددهم الى نفوس القضاء لبلغ خمسة عشر الفا ومن جملة السكان نحو ٢٠٠ اسرائيلي ساكنين في ٤٠ بيتا وهم في نفس القضاء وحده لا في ملحقاته . وليس في القضاء احد من النصارى . وفيهم قلم حاجية .

٤ — ناحية قزانية

لمندلي ناحية واحدة لا غير وهي قزانية وتسمى عندهم « جيزاني » وهي واقعة في جنوبي مندلي على بعد ساعة ونصف منها سيرا على الاقدام وفيها مدرسة اولية ذات صفين مبنية على الطرز الحديث وتقابل دار الحكومة وقد شيدت هذه المدرسة سنة ١٩٢٤ ويبلغ عدد تلاميذها نحو ٣٠ تلميذا . وفيها محلتان وهما : « جاي محلمسي » و « قلعة محلمسي » وتبلغ دورها ٧٠ وخاناتها ثلاثة وعدد نفوسها نحو ٣٬٦٠٠ ويتكلم اهاليها الكردية والفارسية وقليلا من العربية .

٥ — قراها

من قراها « نقيب » وهي واقعة في غربي مندلي على بعد ساعة واحدة منها. وقرية « دو شيخ » وهي واقعة في شرقي مندلي على بعد ساعتين منها سيرا على

ان يحاق الخلفاء العباسيون . والمندنيجين تلفظ كانها مثنى المندنيج في حالة النصب . ولا تلفظ في حالة الرفع بالالف والنون فهي كالبحرين للجزيرة التي في خليج فارس فانها ملازمة للتثنية المنصوبة من باب الحكاية ولو قال الزمخشري انه جاء البحران في حالة الرفع . فهذا غير وارد في كتب التاريخ والادب .

والظاهر ان الاسم الاصلي هو (وندنيكان) كانها جمع (وندنيك) على الطريقة الفارسية ومعناه اصحاب [الاملاك او الاراضي] الطيبون . فظنها الناس مثنى وندنيك ولما كان ورود المثنى في حالة النصب والجر اكثر من وروده مرفوعا اتخذ العامة حالة نصبها للدلالة عليها كما قالوا : البحرين والقريتين ونحوهما . اما كيف انتقلت واو (وندنيكان باء عربية وكانها جميعا عربية فهذا من باب التعريب وهو كثير الامثلة التي لا يحتاج الى ذكرها لاشتهارها هذا اذا كان اصل الكلمة فارسيا ولعله من لغة اقدم تخفى علينا الآن ويظهرها لنا البحث في المستقبل .

(لغة العرب)

الاقدام وفيها ٢٠٠ بيت . وفي هذه القرية تصنع الكوافي (جمع كوفية وهي غطاء الرأس) .

٦ — مقاطعاتها

« نفت » وتبعد عن مندلي ٣ ساعات سيرا وفيها ٣٠٠ بيت و « طحمانة » وتبعد عن مندلي ٣ ساعات وفيها ٣١٠ بيوت . و « دحلة » وهي على بعد ٤ ساعات من مندلي وفيها ٣٠٠ بيت . و « العمريات » على بعد ٣ ساعات من مندلي وفيها ١٠٠ بيت . و « ترماق » على بعد خمس ساعات من مندلي وفيها ١٥٠ بيتا وفي جميع هذه المقاطعات عشائر من الاعراب وبيوتهم كلها من الشعر .

٧ — عشائرها

في مندلي طائفة من عشائر الاعراب والاكراد منهم : « قرة آلوس » و « زهيري » و « البو جواري » و « الجبارة » و « العوادل » و بنو عكبة » و « البو فرج » و « البو سريت » و « ردني » .

٨ — معادنها

على مسافة ثلاث ساعات من قصبة مندلي ينابيع نفط وعيون قير وفيها معالج مشهورة بجودة ماءها .

٩ — مبانيها

لا تزال المباني الموجودة في مندلي على حالها السابق من غير ان يحدث فيها اصلاحات عصرية كما حدث في اقضية اخرى . واليك اسماء المباني التي فيها : سراي الحكومة — دائرة البلدية — دائرة البرق والبريد (وقد اقيم فيها تلفون في هذه السنة ١٩٢٩) — دار الكمرك والمكوس — المدرسة الابتدائية الاميرية — المستشفى الملكي — سيشيد فيها عن قريب دائرة للبيطرية — ٣ حمامات — جامعان — ٣ مساجد — سوقان — خانان احسنهما المسمى خان هرون وهو منظم وفيه امتعة التجار وبضعة حوانيت للباعة وجايخانة (مشرب للشاي) وفي هذا الخان ينزل المسافرون القادمون للتجارة — ١٧٠ دار — مطحنة بخارية (مكينة للطحين) — مثلجة (آلة لصنع الثلج) — كنيس لليهود — عمل شركة لمكائن خياطة سنجر — ٢٠٠ دكان للبدالين والبزازين وغيرهم — ٧ زوايا — ١٠ مقاه كبيرة

احسنها قهوتهم يزاد دائرة الكمرك واليها يذهب اكثر الاشراف والموظفين ثم يليها في الجودة قهوة روبين الاسرائيلي ـ ٣٠ مشرب شاي (جايخانات) ـ ٤ كتاتيب لتدريس اصول القرآن ومبادئ الديانة ومبادئ اللغتين الفارسية والتركية ـ ٣ مقرات (كراجات اي مستودعات للسيارات) .

١٠ — مساكن منذلي والايجار

يبني الاهلون اساس بيوتهم بحجارة صخرية تجلب من جبال الحدود ثم يقيمون عليها الجدران باللبن ويسقفونها بالجريد فيرص على جذوع النخل وشوارع المدينة وازقتها قذرة لا اثر للعناية بها . والمياه على قلتها ملحة ومرة . وحركة النقل بالسيارات دائمة بينها وبين العاصمة وقد اكتسبت المياه ملوحتها من مرورها في اراضي الزرع وذلك لان مؤسسي المدينة شيدوها في اسفل المنحدر وزرعوا بساتينهم وخيلهم أعلى من منازلهم . اما المياه التي فوق البساتين وعلى مقربة من الحدود فاقل منها ملوحة واحسن طعما .

واجرة المساكن والله كاكين هناك ارخص مما في بغداد كثيرا اذ يمكن استئجار احسن دار بمبلغ عشر ريالات شهريا او ما دون ذلك اي بخمس اوست وهكذا قل من اجرة الدكاكين ـ واما لوازم المعيشة فاكثرها تجلب من العاصمة .

١١ — محلات البلدة

تنقسم المدينة الى ست محلات كبيرة اكبرها محلة « قلعة جيل بك » الواقعة في الجزء الشمالي من المدينة واكثر اهلها فرس واغلبهم فارسية وهي تختلف في اللهجة عن الايرانية ويتكلمون بعض التركية والعربية وقليلا من الكردية واهلها مسلمون سنة وشيعة واغلبهم شيعة . ومحلة « بوياقي » وهي واقعة في الشمال الغربي واكثرهم ترك ويتكلمون اللغتين التركية والعربية وكلهم سنة . ومحلة « قلعة بالي » وهي واقعة في شرقي المدينة واكثر سكانها اكراد يتكلمون الكردية والتركية واهلها سنة وشيعة واكثرهم شيعة . ومحلة « قلم حاج » او قلعة الامير حاج ، وهي واقعة في الجنوب ويتكلم سكانها الكردية والتركية وهؤلاء على مذهب الـ « علي اللهية » وهم القلم حاجية (راجع لغة العرب ٧ : ٥١٣) ومحلة « نقيب » وهي واقعة جنوبا وسكانها يتكلمون العربية وقليلا من

التركية وكلهم سنة . ومحلة « السوق الكبير » واقعة في وسط المدينة وفيها السوق الكبيرة . وكل اهلها سنة يتكلمون العربية والتركية . ومحلة (السوق الصغير) واقعة في (شمال) وفيها السوق الصغيرة واهلها كلهم شيعة ويتكلمون الفارسية وقليلا من الكردية .

١٢ — انهارها

انهارها كالاربعة « فلشت » ويخرج من نهر « جتي » وهما في الشمال وفيهما ثلث ماء الاهالي ونهر « السوق » في وسط المدينة وفي الجهة الشرقية نهر « باغ » و « قزانية » .

١٣ — مياه مندلي

تقع مياه مندلي « الملاحة المرة » التي تشبه مياه ملفعر من اراضي « هيوان » على مسافة خمسة ايام لمسافر الجد « كما يقدر اهالي مندلي بعد البلاد بعضها عن بعض » وكانت حدود مندلي في عهد الاتراك تمتد الى مقربة من منابع المياه وكانت اراضي « سنبار » واحلة في الحدود التركية ولذلك كان يسهل عليهم في ذلك العهد اخذ كمية وافرة من سنبار وكانت المنازعات تدور حول امتلاك المنابع نفسها . وكانت الحكومة تساعد الاهالي على الخصام والمعاداة عند انقطاع المياه عنهم بل كانت تمدهم بالسلاح والذخيرة والجند فيذهبون الى ديار الفرس فيستخلصونها من ايدي اولائك الفرس وتبقى في ايدي المندليين بضع سنين ثم ترد الى اهلها وهكذا دواليك . وقبل الحرب العامة جاءت لجنة تحكيم المياه الى مندلي اعضاؤها اجانب بين فرنسي وانكليزي وروسي وايراني وبينهم القائمقام التركي عزيز بك من قبل الاتراك فقررت هذه اللجنة ان تكون نصف مياه سنبار لمندلي وبقيت حالة المياه على هذا الحكم مدة الحرب العامة وايام الاحتلال حتى بدء الحكومة العراقية . ثم تبدلت الحال فحجز جزء كبير من المياه عن مندلي منذ ذلك الحين فقام المندليون بتقديم عدة شكاوى وعرائض الى المقامات العالية واولياء الامور لكن الحالة ازدادت شدة في كل سنة حتى ادى الامر الى انقطاع المياه في هذا العام . والماء الذي يتخلل البلدة قليل جدا ولا يقوم بحاجة الاهالي الضرورية إلا بشق النفس هذا فضلا عن اسقاء البساتين التي تحتوي على نحو مليون نخلة

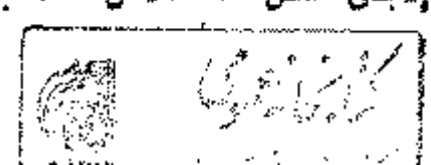

ويزرع من الشتوي ما يقرب من ٣٥٠٠ فدان داخل القضاء .

اني رأيت بعد التحقيق ان هذا الماء لا يأتي من منبار ببلاد ايران اي من المنابع وانما يأتي من الكهاريز التي حفرها الاهالي قبل زهاء عشرين سنة وصرفوا عليها ما يقارب ٢٥٠٠ ليرة عثمانية . وهذه الكهاريز في سفح جبل واقع في المنطقة الايرانية وتتصل مياه الكهاريز « اي المنابع الصغيرة الصناعية » بالنهر الذي يخترق مندلي ، وحسبما سمعت ان الفرس عزموا على سد تلك الكهاريز ولا ادري مقدار صحة هذا الخبر ، وكيف تكون حالة سكان المدينة وما يؤول اليه امرهم اذا سدت البقية الباقية من الماء عنهم .

على اني اتوقع خلاف ما يتوقعه اهل مندلي اذ ان العلاقات بين ايران وحكومتنا توثقت عراها وتجتهد كل دولة لان ترضي الدولة الاخرى باحسن وجه

١٤ — الدعاية الفارسية

الدعاية الفارسية سائرة في المدينة سيرا بطيئا لكنها بصورة منتظمة ومدبرة واقراص الحواكي (القوانات) الفارسية تدار في المقاهي وقد سمعت ذلك بنفسي . وضع صاحب القهوة اسطوانات فارسية للحاكي واداره ولكن شباب العرب المتنورين انكروا هذا الامر وقام احد طلبة الكلية الاعظمية ونادى صاحب القهوة وامره بتبديلها باسطوانة عربية فانقاد للامر وغيرها . وهكذا الحق لا يعدم انصارا في اي مكان وفي سنة ١٩٢٧ اتى الى مندلي رجل فارسي الاصل من كرمانشاه اسمه (علي نقاش كرمنشاهي) وصور على جدران اكثر مقاهي البلدة رسوما عجيبة ومدهشة تمثل رجال الفرس وابطالهم القدماء ومن هذه الرسوم اذكر ما يأتي : رستم زاد ـ قهرمان ـ توز ـ افراسياب ـ زال والد رستم ـ سهراب ابن رستم ـ محمد شير زاد ـ امير خان الونكوهي ـ عبدالحميد ابن اسكندر ـ فرهاد بن سلطان الصين ـ شاه عباس جنة مكان ـ حسين الكرد ـ بابا نسيم ـ امير ارسلان الرومي ـ كيسيا بانو ابنة رستم ـ فلا مرزو بن سهراب ـ وغيرهم . ويقول اهالي مندلي عن هؤلاء الرجال انهم بهلوانية . والذين لهم اطلاع تام على الفارسية يقولون ان لهؤلاء الابطال كتبا مطبوعة بالفارسية تبين سيرة كل منهم واعماله وما اتاه من الشجاعة وذلك بتفصيل

ومبالغات لا وجود لها في اللغات الاخرى . ويسمون الكتب التي فيها تواريخ هؤلاء الابطال (شاهنامه) باسم الكتاب الذي الفه فردوسي وهي على نسق كتاب الف ليلة وليلة هذا وقد كلفت الاصباغ والنقوش كل قهوة زهاء خمسين ريبة ولكن لا اظن ان هذه الرسوم يبقى اثرها مدة طويلة اذ ان بعضها على وشك الاعداء ولعل السبب في ذلك عدم ثبوت الاصباغ لانها تحل في الماء وتنقش بها الحيطان المطلية بالبورق .

١٥ — اقوال بعض الناس عن نواب الامة

يقال في مندلي ان نواب الامة يتذاكرون كثيرا ويحتدم الجدال بينهم في المسائل التافهة كقضية الصحف المعطلة ويصرفون وقتا جليلا فيها ويتركون مسائل القطر الحيوية بلا بت فيها ويدعونها معلقة مع ان الواجب يقضي عليهم بفض القضايا الكبيرة لتنتفع البلاد بنتائجها ولا يتأخر تقدمها ورقيها ويعدون مسألة مياه مندلي من اكبر القضايا التي يلزم البت فيها بسرعة .

١٦ — اقتراحاتهم

يقترحون استبدال اراضي سنبار التي هي للايرانيين من اراض اخرى اقل اهمية منها لتكون اراضي سنبار من المنطقة العراقية او داخل الحدود العراقية وان لم يمكن حفر آبار ارتوازية تكفي مياهها لري المزروعات والبساتين وسد حاجة الاهالي او عقد معاهدة مع الفرس لاخذ نصف المياه مع تنظيف الكهاريز التي انشأها الاهالي ووضع شروط تكفل تنفيذ المعاهدة على الدوام . وبينما يتشكى اهالي مندلي من العطش تجد الايرانيين يزرعون خضراواتهم في اراضي سنبار ويبددون هذه المياه في السهول الفارسية الواسعة ولقلة المياه في مندلي نقص محصول التمور الى الخمس ويبست الاشجار المثمرة في بساتينهم إلا البرتقال وبدأ الجفاف يدب فيه ايضا اما النخيل فيجف ويبس شيئا بعد شيء بنسبة ٢٠ في المائة سنويا ودليلهم على ذلك ان مندلي تقدم الى بغداد الخضراوات والفاكهة فاصبحت اليوم تستجلبها هي من العاصمة والاقضية المجاورة لها بالسيارات وعلى ظهور الدواب .

ميخائيل توملس

احد المدرسين في وزارة المعارف العراقية